الاختراق الإسرائيلي يهدد مستقبل العراق

08-5-2004

وتحظى تحركات إسرائيل في العراق بدعم ومساندة أمريكية قوية، حيث تسعى الولايات المتحدة إلى مواجهة التهديدات الإيرانية المستمرة بإغلاق مضيق هرمز ومحاولاتها السيطرة على الخليج العربي، ولا يخفى أن العلاقات الأمريكية الإيرانية تشهد منذ سنوات طويلة العديد من التوترات

بقلم عبدالله صالح

مواد ذات علاقة

الاختراقات الإسرائيلية للعراق بعد عام من الحرب

تشهد العراق هذه الأيام تحركات إسرائيلية مكثفة، من أجل تدعيم وجودها الأمني والاقتصادي على الساحة العراقية، مستغلة ظروف الاحتلال الأمريكي للبلاد، وغياب الأجهزة الرقابية التي تستطيع كشف هذا الاختراق، فضلاً عن حالة الضعف العربي العام، حيث قام الموساد خلال الفترة القليلة الماضية بافتتاح عدد من المكاتب التابعة له في المدن العرقية الكبرى القريبة من الحدود مع تركيا وسوريا وإيران، مستخدماً الأراضي العراقية كمحطات رصد وإنذار للتحركات الاقليمية التي تهدد أمنها، ونقطة انطلاق لتوسيع العمق الإستراتيجي لإسرائيل في المنطقة، بما يمكنها من الهيمنة عليها وتحقيق حلم إسرائيل الكبرى.

فوجود هذه المكاتب يتيح لأجهزة الانذار الإسرائيلي أن تعمل بكفاءة عالية وفى التوقيت المناسب، وكلما اقتربت أجهزة الانذار الإسرائيلية من مصادر التهديد، تمكنت من إرسال إشارات الإنذار مبكراً، وتقلل المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها المناطق الحيوية في إسرائيل من دول الجوار، وخاصة إيران،

التي يمثل برنامجها النووى العسكرى مصدر قلق دائم لإسرائيل، حيث يعتقد الخبراء الإستراتيجيون في إسرائيل أن هذا البرنامج النووى العسكرى سيصل الى نقطة اللاعودة خلال أشهر قليلة، وإن لم يتم احتواؤه الآن فسيتعين على إسرائيل تكرار تجربة عام 1981، عندما قامت بضرب مفاعل أوزيراك العراقي.

وتحظى تحركات إسرائيل في العراق بدعم ومساندة أمريكية قوية، حيث تسعى الولايات المتحدة إلى مواجهة التهديدات الإيرانية المستمرة بإغلاق مضيق هرمز ومحاولاتها السيطرة على الخليج العربي، ولا يخفى أن العلاقات الأمريكية الإيرانية تشهد منذ سنوات طويلة العديد من التوترات، إذ تتهم الولايات المتحدة ايران بدعم جماعات "الإرهاب"، وامتلاك أسلحة دمار شامل تهدد بها جيرانها، ولا يمكن لواشنطن تجاهل أن إيران مازالت تعلن عدم قبولها بالتسوية السلمية للصراع العربى الفلسطينى وتساند حزب الله في لبنان ، فضلاً عن تلميحاتها بين الحين والآخر برفض الوجود الأمريكي في منطقة الخليج، التي تعتبرها إيران منطقة نفوذ تاريخية لها.

كما تنظر الولايات المتحدة بتوجس للسياسة المزدوجة التى تتبعها إيران تجاه العراق، فإيران كانت ضد الغزو الأمريكي للعراق، ورغم ذلك فقد باركت مشاركة المعارضة الشيعية في العراق في مؤتمر المعارضة الذى عقد فى لندن برعاية أمريكية، وفي الوقت الذي تساند فيه الشيعة المنتمين إلى مجلس الحكم الانتقالي، فإنها أيضاً تدعم جماعة مقتدى الصدر الذى يقود المقاومة فى العراق. وفى هذا الإطار شجعت الولايات المتحدة إسرائيل على توطيد أقدامها فى العراق لمقاومة النفوذ الإيراني، كأحد الأهداف المشتركة لإسرائيل والولايات المتحدة.

ولم يقتصر الاختراق الاسرائيلى للعراق على الجانب

الأمنى والمخابراتي، بل توازى مع التغلغل الاقتصادى والتجارى الذى مهدت له أجهزة الاستخبارات الغربية والإسرائيلية، خاصة مع الرفض العراقي والعربي في أعقاب الغزو الأمريكي، لمقترحات إسرائيل بالمشاركة في إعمار العراق، ولذلك قامت إسرائيل بتنسيق جهودها مع الولايات المتحدة لدعم إستراتيجية التغلغل الإسرائيلي في العراق، وبدأ الاختراق من خلال مشاركة عدد من المقاولين من الباطن في مناقصات كبرى تتعلق بمشروعات البناء والطاقة والخدمات المختلفة.

كما عاد الكثير من اليهود العراقيين الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية الآن، إلى بغداد بدعوى البحث عن منازلهم القديمة من ناحية، وشراء منازل جديدة فى العراق من ناحية أخرى، وتشير تقارير غربية إلى أن أكثر من 100 ألف عراقى باعوا منازلهم لليهود خلال الأشهر القليلة الماضية، بسبب معاناتهم الشديدة من الفقر، وهو الأمر الذى يهدد بظهور خلايا يهودية فى العراق على غرار ما حدث في فلسطين لتصبح فيما بعد مستوطنات إسرائيلية.

أكثر من ذلك، فإن مئات الشركات الإسرائيلية قدمت لها الحوافز والتسهيلات للذهاب إلى العراق، مما أدى إلى هرولة الكثير منها للاستثمار فى مشروعات إعادة الإعمار في العراق، والتي يقدر حجمها بمليارات الدولارات، وذلك بالتنسيق مع اتحاد المقاولين الإسرائيلي، الذي قام وفد منه بعدة زيارات للعراق خلال الأشهر الماضية، للتعرف على مشروعات البنية الأساسية والخدمات التى يمكن للشركات الإسرائيلية المساهمة في إعادة إعمارها، وقام بترشيح الشركات الإسرائيلية المؤهلة، والراغبة في توسيع نشاطاتها ومشاريعها فى العراق.

كما تم فتح أسواق العراق للمنتجات الإسرائيلية عبر وكلاء

أردنيين يعملون لحساب الشركات الإسرائيلية، وخلال ثلاثة أشهر فقط صدَرت إسرائيل للعراق من خلال هؤلاء الوكلاء سلعاً قيمتها 100 مليون دولار، عبر الأراضي الأردنية، وهذه السلع عبارة عن مشروبات غازية وكحولية، وأغذية معلبة، ومنتجات زراعية.

وكان وزير المالية الإسرائيلي "نتنياهو" قد دعا فى بيانه الشهير، رجال الأعمال الإسرائيليين للاستثمار واختراق السوق العراقية، ورغم أن هذا البيان صدر في يوليو من العام الماضي، إلا أنه تبلور بصورة حقيقية بعد فترة قصيرة جداً، خاصة أن بعض الشركات الاسرائيلية والمؤسسات الاسرائيلية والأمريكية قد مهدت الطريق لذلك، واستكمالاً للمخطط، فقد اتفق الجانبان الأمريكي والإسرائيلي فيما بينهما سراً على مشاركة تل أبيب فى مشروعات إعادة الاعمار فى العراق بعيداً عن عيون العرب، خوفاً من إثارتهم، حيث التقى وزير الخارجية الإسرائيلي "سليفان شالوم" مع مسئولين بارزين في إدارة بوش، على رأسهم "ويليام بيرنز"، و"اليوت أبراهام"، للتباحث في هذا الموضوع.

وقد اعترفت صحيفة معاريف الإسرائيلية بوجود أكثر من مائة شركة إسرائيلية تعمل في العراق، ونشرت تفصيلاً لنشاط كل شركة من الشركات المعلنة، وأهم الصفقات التي عقدتها. ولم يستطع مجلس الحكم العراقي أن ينفى ذلك، حيث أشار وزير الاسكان العراقي "بيان باقر سولاج" إلى أن الشركات الإسرائيلية لا تعمل في العراق بصورة علنية، ولكنها تعمل تحت ستار شركات غربية وعربية أيضاً.

أياً ما كان الأمر، فإن جهوداً إسرائيلية تجرى على قدم وساق لاختراق العراق أمنياً واقتصادياً، بالتواطؤ مع الولايات المتحدة،

مستغلة ظروف الاحتلال وغياب مؤسسات الدولة القادرة على التصدى لهذا الاختراق، وعجز الأنظمة العربية على الوقوف في وجه الممارسات الأمريكية والإسرائيلية في العراق، والتي تستهدف تحويلها إلى فلسطين أخرى..ويبقى الأمل معقوداً على المثقفين ومنظمات المجتمع المدني العربية، للتوعية بمخاطر الاختراق الإسرائيلي، وسبل مواجهته، والعمل على توفير الدعم للعراقيين ممن يبيعون منازلهم تحت وطأة الحاجة، قبل أن يصبح عراقيو 2004 عما قريب نسخة مكررة من فلسطينيي 48.